جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الاغتراب
في رواية "المسافات"
للكاتب المصري إبراهيم عبد المجيد

إعداد

قلم اللّه Wu GELAN

باحث دكتوراه -كلية الآداب
جامعة الإسكندرية

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الثالث .. أغسطس)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الاغتـراب في رواية "المسافات" للكاتب المصري إبراهيم عبد المجيد

قلم الله Wu GELAN

باحث دكتوراه –كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

البريد الالكتروني: :wugelan@gmail.com

الملخص:

إن روايـة المسـافات تعمد إلـى توظيـف رؤيـة وجوديـة متخـذة مـن الوجـه البـائس للوجـود الإنسـاني المتـواري خلـف بيـوت الصـفيح قناعـاً لـه، لتمريـر أسـئلة الحيـاة بإحالات مغمورة داخل إيماءات صغيرة وعابرة وتائهة، تبحث عن إجابة عن عدد من الأسئلة، في أطوار الحياة عبر المسافات، تدور أحداث الروايـة فـي جـو مـن الفانتازيا حول قصة "علي" الذي يختلف عن أهله في الرغبة في المعرفة وتجاوز المكان والزمان، لذلك يكبر فجأة فيصير شاباً ويترك المكان إلى المدينة القريبة، ليعرف سر هذا العذاب المحكوم به على الناس هناك، يجد في المدينة عذاباً أكبر، يعود منها إلى مكانه الأصلي فيرجع بالذاكرة إلى طفولته، ولا يجد أحدًا غير "سعاد" التي يعتبرها أجمل النساء التي لم يطلها أحد، وقد صارت مسخًا صغيرًا يحتفظ بها عامل بلوك السكة الحديد الذي لا يعمل لأن القطارات لا تأتي، ينحني يقبلها فتختفي هي الأخرى إلى الأبد، لقد سيطر الشعور بالاغتراب على الكتاب والمثقفين بل معظم أفراد المجتمع المصري في القرن العشرين، وأصبح ظاهرة متفشية بشكل مزعج في ذلك القرن حتى أصبح كأنه مرض أصيب به الإنسان الحديث، مما جعله ينسحب على شخصيات الرواية عند إبراهيم عبد المجيد وغيره من الروائيين في جيله،وبالنظر إلى معظم روايات إبراهيم عبد المجيد نجد هذه الشخصيات السلبية التي تتسم بالضعف والإحساس بالفشل والانحسار والضعف؛ مما يؤدي بهم إلى الاستسلام للقوى المحيطة دون مقاومة إلا قليلاً، ونجدهم يصيبهم اليأس التام من كل شيء، فأمسى بينهم وبين واقعهم مسافات شاسعة، فكادوا لا يشعرون بما يدور حولهم، وقد اتبع البحث المنهج

الوصفي التحليلي، كما يستعين بالمنهج النفسي في دراسة ظاهرة اغتراب الشخصيات.

الكلمات المفتاحية: المسافات، إبراهيم عبد المجيد، الاغتراب، القلق، الاضطهاد، المكان والزمان.

Alienation in the novel “Distances” by the Egyptian writer Ibrahim Abdel Majeed

Qalmullah Wu GELAN
PhD researcher in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Alexandria University, Egypt.
Email: wugelan@gmail.com

Abstract:

The novel Distances deliberately employs an existential vision that takes the miserable face of human existence hidden behind tin houses as a mask for it, to pass the questions of life with references submerged within small, fleeting and lost gestures, searching for an answer to a number of questions, in the stages of life across distances. The events of the novel revolve in an atmosphere of fantasy around the story of "Ali" who differs from his family in the desire for knowledge and transcending place and time, so he suddenly grows up and becomes a young man and leaves the place for the nearby city, to know the secret of this torment that is condemned to people there. He finds greater torment in the city, returns from it to his original place and goes back in memory to his childhood, and finds no one but "Souad", whom he considers the most beautiful woman that no one has touched, and she has become a small monster kept by the railway block worker who does not work because the trains do not come. He bends down to kiss her and she disappears forever. The feeling of alienation has dominated writers and intellectuals, and even most members of Egyptian society in the twentieth century. It became a disturbingly widespread phenomenon in that century until it became like a disease that infected modern man, which made it spread to the characters of the novel by Ibrahim Abdel Majeed and other novelists of his generation. Looking at most of Ibrahim Abdel Majeed's novels, we find these negative characters characterized by weakness and a sense of failure, decline and weakness; which

leads them to surrender to the surrounding forces without resistance except a little, and we find them completely despairing of everything, so vast distances became between them and their reality, so they almost did not feel what was going on around them. The research followed the descriptive analytical approach, and it also uses the psychological approach in studying the phenomenon of alienation of characters.

Keywords: Distances, Ibrahim Abdel Majeed, Alienation, anxiety, Persecution, Place and time.

المقدمة:

الكاتب إبراهيم عبد المجيد:

إبراهيم عبد المجيد كاتب وروائي وقاص مصري ولد في الإسكندرية، وقد حصل على ليسانس الفلسفة من كلية الآداب جامعة الإسكندرية عام ١٩٧٣م.

أصدر إبراهيم عبد المجيد عشر روايات، منها "ليلة العشق والدم"، "البلدة الأخرى"، "بيت الياسمين"، "لا أحد ينام في الإسكندرية"، "طيور العنبر"، كذلك نشرت له خمس مجموعات قصصية هي "الشجر والعصافير"، "إغلاق النوافذ"، "فضاءات"، "سفن قديمة"، و"ليلة أنجينا". وقد ترجمت روايته "البلدة الأخرى" إلى الإنكليزية والفرنسية والألمانية. كما ترجمت روايته "لا أحد ينام في الإسكندرية" إلى الإنجليزية والفرنسية، و"بيت الياسمين" إلى الفرنسية. ومن مؤلفاته كذلك "مسافات" و"ليلة العشق والدم" و"الصياد واليمام" و"بيت الياسمين" "البلدة الأخرى" و"قناديل البحر" و"لا أحد ينام في الإسكندرية" و"طيور العنبر".

حصل إبراهيم عبد المجيد على عدد كبير من الجوائز داخل وخارج مصر، منها جائزة نجيب محفوظ للرواية من الجامعة الأمريكية بالقاهرة عن "البلدة الأخرى" عام ١٩٩٦م، وجائزة معرض القاهرة الدولي للكتاب لأحسن رواية عن "لا أحد ينام في الإسكندرية" عام ١٩٩٦م، كما حصل على جائزة الدولة للتفوق في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٤م، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٧م، وتُوِّجت أعماله بحصوله على أرفع جائزة مصرية، وهي جائزة النيل في الآداب ٢٠٢٢م.

رواية "المسافات":

وقد تعددت الشخصيات في رواية المسافات، وتنوعت بين شخصيات رئيسة وثانوية. الشخصيات الرئيسة تمثل الدور الأكبر في أحداث الرواية، ولاسيما شخصية: الشيخ مسعود الذي يمثل الرمز الديني في الرواية. وأم جابر التي تمثل التاريخ فهي شاهدة على أحداث الرواية منذ نزلت البيوت العشرين،

وسعاد وليلى اللتين تمثلان الحياة بما فيها من متناقضات، وشخصية (علي) الذي يمثل المستقبل بآماله وأحلامه، وجابر وحامد اللذين يمثلان الكفاح المتواصل للرجل، ونعمة وزوجها زيدان وعبد الله وزوجته وابنته سميرة الذين يمثلون الطبقة الاجتماعية الثابتة في المجتمع بأفكارها ومعتقداتها.

أما الشخصيات الثانوية في الرواية فهي التي تمثل دوراً من خلال مواقفها المحددة والسريعة من بعض الأحداث التي تعيشها الشخصيات الأساسية. ومن الشخصيات الثانوية: (ابن المفتش، عم عبد النور، وناظر المحطة، والدليل في الصحراء، والرجل الصعيدي وزوجته، والعجوز في فيلا المهربين، والمهربون، والحراس، الشرطي وزوجته، وموظف مصلحة السكة الحديد، ومسعد صديق جابر وغيرهم).

وقد سيطر الشعور بالاغتراب على كثير من الكتاب والمثقفين المصريين في القرن العشرين، مما جعله ينسحب على شخصيات الرواية عند إبراهيم عبد المجيد وغيره من الروائيين في جيله.

وبالنظر إلى معظم روايات إبراهيم عبد المجيد؛ نجد هذه الشخصيات السلبية التي تتسم بالضعف والإحساس الشديد بالفشل والانحسار والضعف المتمكن منهم، مما يؤدي بهم إلى الاستسلام للقوى المحيطة دون مقاومة إلا قليلاً، ونجدهم يصيبهم اليأس التام من كل شيء، فأمسى بينهم وبين واقعهم مسافات شاسعة، فكادوا لا يشعرون بما يدور حولهم، لأن هذا الواقع الفاسد كان السبب المباشر في قتل أحلامهم الجميلة، الطامحة في تحقيق حياة أفضل.

وهناك مجموعة من الدوافع تذهب بهذه الشخصيات إلى الإحساس العميق بالسقوط في هوة الاغتراب، وما يترتب على ذلك من الإحساس بعدم الثقة بالنفس، وعدم القدرة على التكيف والقلق والمخاوف، وعقدة الاضطهاد وضعف أحاسيس الشعور، وغياب الإحساس بالتماسك.

العنوان:

لقد أتى العنوان موفق جداً، فكل الرواية لا تتحدث عن شخوصها سعاد وليلى وعلي والشيخ مسعود، فالرواية تتحدث عن المسافات الفاصلة بين الواقع والخيال، أو بكلمات أكثر إنصافاً، تتحدث الرواية عن المسافات التي كانت يجب أن تكون فاصلة بين الواقع والخيال.

وتحكي هذه الرواية عن عشرين بيتاً يسكنهم عشرون أسرة على ضفاف بحيرة ما، والمؤلف لا يعطيك أي ملامح للمدينة أو المكان، فقط بحيرة تحيط بها نباتات الحلفا ويسطع القمر فوقها، هكذا بلا سابق إنذار يقرر الكاتب أن يشرك القارئ في عملية الخلق، فيمكنك أن تقرر أنت أين ستكون بحيرتك، وأين سوف تدور الرواية.

ويسكن البيوت رجال ونساء مفرطين في الواقعية الخيالية، إذ يمكنه أن ينقل لك تفاصيل حياتهم الواقعية جداً، من طقوس خبيز الأفران وإشعالهم للفواريكة للتدفئة ورقصهم في الاحتفالات، ويمكنه أن يستفز عقلك ليتخيل مشهد خيالي جداً لأحدهم، ينمو جسده نمواً هائلاً في يومين وأخرى تصغر حتى تكون وجهاً بأذرع وسيقان مثل الدبابيس، أو أن يقنعك أن أحدهم لا يستطيع النظر لعين الشمس وأنها تطارده.

في رواية المسافات يحيا كل منا في عالمين، قدم في العالم الذي يمكنك أن تلمسه وتشمه وتسمعه، وقدم في عالم أثيري قوانينه تختلف عن كل شيء عرفته قبلاً.

وفي المسافات "وروايات إبراهيم عبد المجيد عموماً" هناك إجلال يشبه التقديس للنساء، يمكنه أن يرى الجمال بشفافية رقيقة، فيصف إبراهيم عبد المجيد نساءه حتى الغرور، يمكنهم من التمتع بكل تفصيلة خلقت فيهن، يستطيع أن يعلو بهن فوق صفات البشرية حتى لو كن مغرقات في الواقعية.

وتمتلئ الرواية بحالات ساحرة وأحداث مغرقة في الخيال، يمكنك فيها أن

تنفس عن ضيقك من واقعك المادي جداً، والسفر معه للمدينة الغامضة، التي يذهب لها كل سكان ضفة البحيرة ولا يعودون، يمكنك أن تستمع لحن المسافر فوق القطارات، الذي يعزف الناي ولا يعبأ بالنزول في المحطات، شخصيات خيالية تعيش معهم صفحات حياتهم وتنسل من واقعك الخانق لتعود أكثر وعياً بكل شيء.

الاغتراب وأنماطه

الاغتراب لغة :

للاغتراب معان عديدة تعكس طبيعة تداوله،كما تعكس الرؤية الفنية له، والاغتراب معناه الابتعاد والاختفاء والغيب، وهو مشتق من الفعل غَرَبَ، وغَرَبَ كما جاء في لسان العرب(١).

أما الجوهري فيؤكد على معنى التغريب بقوله : إن التغريب : النفي والإبعاد عن البلد وأشار الفراهيدي إلى هذا المعنى بقوله: (الغربة: الاغتراب عن الوطن، وغرب فلان عنَّا أي تنحى وأغربته وغربته)(٢).

الاغتراب اصطلاحًا:

بالعودة إلى تعريفات المعاجم العربية لكلمة الغربة نجد أنفسنا على مقربة من التعريف الاصطلاحي للاغتراب . فقد أجمعوا على أن الاغتراب يعني التنحي والبعد عن الوطن، وهو بلاشك مفهوم اجتماعي.

---

(١) جمال الدين أبو الفضل محمد/ابن منظور لسان العرب، ص٧٤٨.

(٢) والغَرْبُ: الذهابُ والتَّنَحِّي عن الناسِ. وقد غَرَبَ عنا يَغْرُبُ غَرْباً، وغَرَّبَ، وأَغْرَبَ، وغَرَّبه، وأَغْرَبه: نَحَّاه. وفي الحديث: أَن النبي، صلى اللّه عليه وسلم، أَمَر بتَغْريبِ الزاني سنةً إِذا لم يُحْصَنْ؛ وهو نَفْيُه عن بَلَده. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم ١-٤ ج٤، تح: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، ص٤١.

ويمكننا أن نرصد بعض أقوال النقاد والكتاب العرب تدل على إنهم قد فهموا (الاغتراب) بمعنى: معاناة الإنسان الغربة حتى بين أبناء جنسه وفي وطنه، أي: الانفصال عن المجتمع وعدم القدرة على الاندماج فيه أو الشعور بعدم الانتماء إليه، من ذلك، مثلاً، قول (أبو حيان التوحيدي): «أغرب الغرباء من صار غريباً في وطنه»[١]، وكذلك قول (ابن القيم): «والغربة أن يكون الإنسان بين أبناء جنسه غريباً، مع أنه له نسباً منهم»[٢].

تختلف رؤية النقاد والفلاسفة للاغتراب، فيراها كل منهم من منظور نفسه، فنقاد الأدب يعرفون الاغتراب بأنه «وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته وبين البيئة المحيطة به بصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء والسخط والقلق وما يصاحب ذلك من سلوك إيجابي، أو الشعور بفقدان المعنى واللامبالاة ومركزية الذات، والانعزال الاجتماعي،وما يصاحب ذلك من أعراض إكلينيكية»[٣].

أنواع الاغتراب:

والاغتراب ظاهرة عرفها أفراد المجتمع البشري في كل زمان وفي كل مكان.

وتتعدد أسباب الاغتراب وتتنوع من مجتمع لآخر،كذلك تتعدد أنواع الاغتراب.

---

(١) عبد الرحمن بدوي، الإشارات الإلهية، دار القلم للطباعة و النشر و التوزيع – بيروت / لبنان، ٢٠٢٠م، ص١٥.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر/ابن قيم الجوزية مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١-٣ ج٣، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م، ص١٥٣.

(٣) حافظ أحمد خيري. سيكولوجية الإغتراب لدى طلبة الجامعة. أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين الشمس، مصر، ١٩٨٠م، ص ٧٠.

أولاً– الاغتراب المكاني :

ويتمثل فيما يتحرك في الإنسان من مشاعر نتيجة الانتقال من مكان يحبه، ولايريد أن يفارقه إلى مكان آخر مرغم على الذهاب إليه، كما يسميه بعض النقاد (الاغتراب القسري)، ذلك لأن الألفة مع المكان تأتي من خلال الشعور بالمواطنة، والنفعية، أي المصالح المشتركة بين الإنسان والمكان، وما يحدث بينهما من أخذ وعطاء.

وتبعاً لذلك فقد شكل المكان، على الدوام في عقل الإنسان فكرة المواطنة أي ارتباط الإنسان بالمكان الذي كوَّن معه علاقة حميمة، فهو لا يحب أن يغادره، وخاصة إذا اضطرته الظروف إلى ترك المكان الذي نشأ وكبر فيه، ومفارقة من فيه من أهل وأصدقاء، ليقيم في مكان آخر جديد، حيث يجد كل شيء غير مألوف، المكان والناس، وكل ما حوله فيشعر بالغربة . ويجد نفسه غير قادر على التآلف مع مجتمعه الجديد.

ثانيًا– الاغتراب الروحي :

يبدو الاغتراب الروحي في الشعور الذي يسيطر على بعض الأشخاص الذين تميل أرواحهم إلى القيم، والمثل العليا حين يفتقدون خصائصه ومواصفاته في الواقع الجديد الذي يعيشون فيه.

(ويمكن القول أن هذا النوع من الاغتراب هو نتاج تراكم تجارب وخبرات ومعاناة يواجهها الإنسان في واقعه، إذ أن تعاقب الإخفاقات والإحباطات يؤدي بالإنسان إلى اعتزال واقعه اعتزالاً كلياً أو شبه كلي، والسعي إلى بلوغ واقع آخر لا وجود له إلا في تصوره وخياله)[١].

(١) ميساء نبيل عبد الحميد، الغربة والاغتراب في روايات (غائب طعمة فرمان)، مرجع سابق.

فالذات أو الروح، تصبح معلقة في الهواء،لا هي قادرة على التكيف مع الواقع الجديد، ولا هي قادرة على العودة إلى مجتمعها القديم؛ بسبب الاغتراب القسري، فتبدأ في نسج عالم من الخيال تعيش فيه لكي تهرب من واقعها المأزوم، فتغترب في الزمان والمكان.

ثالثًا– الاغتراب النفسي:

ويطلق عليه المختصون بعلم النفس اسم (الاغتراب عن الذات) ويتمثل في زوال الارتباط بين الذات وما عليه الإنسان أوما كان عليه، بما في ذلك ارتباط حياته الراهنة بماضيه، وجوهر هذا الاغتراب هو البعد عن مشاعر المرء ومعتقداته وطاقاته، ذلك أن الإنسان حين يرصد سوء الواقع الذي يعيش فيه، ويفتقد فيه (المُثُل) التي يتطلع إليها، ويعجز عن تحقيقها، يعمد إلى الهروب من ذلك الواقع ليصنع لنفسه عالماً موازيًا منغلقاً ومنفصلاً عن واقعه الفعلي، فيعاني تبعاً لذلك من الاغتراب.

(ويتميز المغترب بالقلق والاكتئاب، مع إحساس باللاواقعية والفراغ والسأم والسخط، وغالباً ما يكون عدوانياً في سلوكه مع الآخرين، وتتفاعل هذه الأبعاد فيما بينها، وقد يزداد شعور الفرد ببعد أو أكثر من هذه الأبعاد)[١].

رابعًا– الاغتراب الاجتماعي :

(ويتمثل في شعور الإنسان الفرد بالاغتراب في مجتمعه نتيجة لتعرضه للفصل أو الخلع أو التجاهل أو التهميش بطريقة ما عن مجمل أفراد مجتمعه وثقافته العامة السائدة)[٢].

---

(١) فاطمة محمد حميد سويدى، الاغتراب في الشعر الأموى، مكتبة مدبولى، ١٩٩٧م، ص١٦٠.

(٢) ميساء نبيل عبد الحميد : الغربة والاغتراب في روايات (غائب طعمة فرمان) (ملف/٥)، مرجع سابق.

ومن مظاهر الاغتراب الاجتماعي التهكم والسخرية من الوافد الجديد للمجتمع، كما أن العنصرية والتمييز على أساس اللغة، أو الدين، أو الجنس، أو اللون تمثل أخطر مظاهر الاغتراب الاجتماعي.

ومن مظاهر الاغتراب أيضاً، الانسلاخ عن المجتمع، والعزلة والانعزال، والعجز عن التلاؤم، والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع، واللامبالاة، وعدم الشعور بالانتماء، بل أيضاً انعدام الشعور بمغزى الحياة)[١].

خامساً: الاغتراب الزماني المكاني:

الاغتراب الزماني (هو شعورالإنسان بالبون الشاسعَ بين ما يؤمن به ويَعتقده، وبين ما يَراه ماثلاً في الواقع المحيط به؛ سواء كان ذلك القريب في وطنه، أوالبعيد في العالم شرقِه وغربه)[٢].

أما الاغتراب المكاني؛ (فإمَّا اختيارًا بالهجرة بحثًا عن الرزق والعلم وغير ذلك، وإمَّا قهرًا بالهجرة فرارًا من البطش الفكري أو السياسي أو العقَدي)[٣].

ويتمثل الاغتراب الزماني والمكاني في (شعور الإنسان بالاغتراب نتيجة عدم تواؤمه مع مقتضيات الفترة الزمنية، أو المرحلة التاريخية، أو العصرالذي يعيش فيه، أو المكان الذي يعيش فيه، فيتطلع إلى أن يعيش في زمان غير زمانه)[٤]. فيلجأ الإنسان إلى أحلام اليقظة، والعيش في الخيال، أو تذكر الماضي والعيش في ذكرياته.

---

(١) أبو زيد أحمد، تمهيد في الاغتراب، مجلة عالم الفكر، مجلد رقم (١)، وزارة الإعلام، دولة الكويت ١٩٧٩م، ص١٠.

(٢) صالح العطوان الحيالي الغربة والاغتراب، العربي اليوم ٧ سبتمبر، ٢٠١٧م.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ميساء نبيل عبد الحميد : مقال بعنوان: الغربة والاغتراب في روايات (غائب طعمة فرمان) مرجع سابق.

ومن هنا (تنعكس تأثيرات المكان على نفسية ساكنه، سواء كانت هذه الانعكاسات سلبية أم إيجابية، وتبعاً لذلك يشكل المكان جزءاً من هوية الشخصية القصصية. والشخصية المهمّشة لاشك سيكون مكانها مهمشاً أيضاً؛ فالمكان يعاني الانكسار والاغتراب والإهمال كصاحبه المهمش ؛ والتهميش غالباً يضمر وجود المهمّشين في كل مجتمع. وفي كل بلد نجد بنسبة أو أخرى أماكن نعرف بمجرد النظر إليها أن قاطنيها هم من طبقة المهمشين)[١].

وفــي روايــة المســافات: الشيخ مسعود يعيش اغتراباً زمانياً ومكانياً، فهويعيش بخياله بعيداً عن الواقع، ولا يشعر بالمكان الذي يعيش فيه؛ فهو يقضي معظم وقته في الجامع، ولا يتركه إلَّا عند النوم، ولما سقطت الأمطار ولم يستطع الخروج، بات في المسجد وأخذ يحدث نفسه بقصة السمكة الذهبية وما قالته له (ود الشيخ مسعود لو يخرج إلى المنزل. لن يؤذن الفجر، وأجدى له أن يعود إلى سعاد. لابد أنها خائفة . لكن الوحل صار بركاً في الخارج. الماء حاصر الجامع. الرعد قوي. المطر غزير. تساءل هل كانت السمكة الذهبية حقيقة أم وهماً؟ أي قطار هذا الذي يسبب كل هذا الشقاء؟. يقولون أنه قديم منذ أيام اسماعيل باشا. لكنه لا يصدق).

وكذلك فريد ابن المفتش أكثر الناس إحساساً بغربة الزمان والمكان؛ فهو منذ أن نزل إلى المدينة ليتعلم فيها،لا يأتي إلى البيوت العشرين إلا قليلًا، وإذا جاء لا يكلم أحدًا، ولا يحب البحيرة بل وصف ماءها بالعفن. قالت سعاد (إني مثلهم لا يكلمني فريد، أنا لازلت أذكر السؤال الذي سألك . حين قال لك : ألا يوحي إليك هذا المكان بشيء ؟، ولم ترد . ثم قال لك وما معنى أن نعيش

(١) فلاح محمد محمود، الشخصية المهمشة في مجموعة العشب القصصية لأنور عبدالعزيز، دار الخليج للنشر والتوزيع ٢٠١٩م، ص١٠٢.

هنا بين مياه البحيرة والصحراء، والقطارات تمر علينا فلا نختار من بينها إلا قطار الكنسة؟ وقال لك، تخيل أن الصحراء بشمسها عقدت اتفاقاً مع البحيرة بمائها العفن الثقيل . أي نار وطوفان سيكونان ؟، وقال لك وأنا يا عمي لذلك لا أحدث أحداً)[١].

ويكشف فريد ل(ليلى) سر اغترابه الزماني والمكاني حينما التقى بها في إحدى زياراته لأهله قال لها: (تعرفين أني أدرس في المدينة . هل تعرفين المدينة ؟ هل ذهبت إليها مرة ؟ في المدينة نتحدث كثيرا ولا ننتظر شيئاً. هناك أعرف كل شيء . حين آتي هنا يلفنى الحزن لأني أعرف من هناك ماذا سيحدث هنا. تندهشون لقطارات الجنود والخواجات لكني أعرف من هم . من أين يأتون وأين يذهبون ؟ حاولت كثيراً أن هنا لكن يصدني شيء قاس . شيء يقول لي أن كلامى ستطويه موجات البحيرة البطيئة ورمال الصحراء الراكدة والريح . حتى الشيخ مسعود حين حاولت أن أحدثه رأيته معجبًا بي أكثر مما هو مصغ إلى، وبدا أنه لا يفهم شيئا مما أقول)[٢] . **وربما كان ذلك الاغتراب الزماني المكاني سببًا في مقتل فريد.**

والاغتراب يصيب الإنسان بالقلق والحيرة، ولا يستطيع أن يصل إلى حل نهائي في أي موقف يواجهه، فسعاد زوجة الشيخ مسعود أصبحت في حيرة مما يشاع في البيوت العشرين من أمر زيدان، وما يقال عنه من قصص خيالية فأصبحت في غربة وهي بين الناس .

وسعاد منذ أن مات الشيخ أصبحت تعيش في عالم من خيالها، شعرت بأنها لم تعد تعرف أحدا، ولا أحد يعرفها، جعلت لنفسها طقوسا خاصة. (منذ

(١) إبراهيم عبد المجيد، رواية المسافات، دار الشؤون الثقافية العامة،(آفاق عربية)، العراق، بغداد، أعظمية، ١٩٨٩م، ص٤٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٩.

مات الشيخ مسعود وسعاد تبدأ يومها كل مساء . أمضت صباح أيام الشتاء الماضي تصعد السطح وتفتح صدرها للمطر، ولن تفعل ذلك شتاء هذا العام . تمضي نهار أيامها إما وحيدة في البيت نائمة، أو جالسة لا تفعل شيئا، ولا حتى تفكر . تذهب للحديث مع ليلى أو تنتظرها . لكنها كانت دائما ترقب الغلام على . وحين يأتي المساء يبدأ يومها . في المساء تطهو طعام الغد . تغسل الثياب . تناجي بعلها الميت وتقيم معه طقوس الحب . وتخبز إذا حان موعد الخبز)[١].

لم تعرف هل تصدق ما يقال عن زيدان أم لا. (حين تذكرت رحلة أمها خلف أبيها الذي خاوى جنية واختفى كادت تصدق، لكن الولد علي أتى إليها، وقال لها أن والديه يحدثانه عن الجن حتى يخاف ولن يخاف، فقررت أن حكاية زيدان كذب في كذب)[٢] .

زينب أيضًا لم تصدق. (حين كانت تسمع ما يقال تبتسم . فهي تعود كل يوم في المساء، ولا ترى زيدان يغطس في الماء كما يقول الرجال . وتصحو كل صباح من النجمة . ولا ترى زيدان يخرج من البحيرة كما تقول النساء. أحيانًا تقول لنفسها : إنها في المساء تكون متعبة فلا ترى ما حولها، والكون الذي يبدو كصدفة معتمة يجعلها تتكمش في بعضها فلا تشعر بشيء. وفي الصباح تكون من طرد مخاوفها من زوارها الذين سيزورنها فوق الجسر .كما أن الكون الذي سيصبح مثل بيضة كبيرة. يجعلها تسير وهي كالمخدرة فلا تشعر بشيء.إلا أنها قالت لنفسها أنها لن تصدق إلا ما تراه بعينها)[٣].

(١) إبراهيم عبد المجيد، المسافات، ص٦٩.

(٢) المصدر السابق، ص٨٩.

(٣) السابق، ص٨٩.

أما علي فلم يفكر كثيرا. كره أبويه إذ حدثاه عن الجن ليخيفاه، قال لسعاد: (أنه لو رأى زيدان سيكلمه، ولو غطس في الماء سوف يغطس وراءه ولو إلى قصر مسحور)[١].

لكن سعاد (لم تعد تجرؤ على أن تخرج ليلا . حتى الفواريكة صارت توقدها داخل العشة التي تفتح بابها ليتسرب الدخان وتقول في نفسها : إن الجن يخاف النار !)[٢].

عبد الله: أحد عمال السكة الحديد بلغ الخمسين من عمره،فرض عليه **الاغتراب** الاستسلام والرضا بعمله رغم مشقته؛ فهو يحمل عدته على كتفه، ويقطع مشواره اليومي المتكرر منذ أكثر من عشرين سنة، ولأول مرة لا يشعر بحرارة الشمس قوية على قفاه رغم أن الوقت خماسيني)[٣].

عبد الله: لم يرزقه الله بولد بل رزقه بست بنات، أكبرهن سميرة التي أحبت مرسي أحد المسفرين الذين يسافرون ليل نهار، فهو في غربة دائماً، وخرجت سميرة تبحث عن مرسي وتركت أسرتها في هم وغم، مما جعل والدها **عبد الله يعيش الاغتراب الزماني والمكاني** وهو يبحث عنها (هل رأيت سميرة . ؟ لم يرد أحد. هل رأيت سميرة ؟ لم يجبه أحد . قالوا له اذهب إلى الجسر أو المدينة ولم يعرف أحد أنه لا يسير إلا في اتجاه واحد . زينب قالت أنها لم ترها فوق الجسر .المدينة أمل بعيد وزوجته صارت مريضة . حين قالت زينب أنها لم ترها فوق الجسر، تذكر حامد وجابر ثم الشيخ مسعود وفريد وعرفة وزيدان . قال في نفسه أن سميرة غير هؤلاء جميعا . حتما ستعود ولو في الزمن الأخير)[٤].

---

(١) إبراهيم عبد المجيد، المسافات ، ص ٩٠.

(٢) السابق، الصفحة نفسها.

(٣) إبراهيم عبد المجيد، المسافات، ص٩٤.

(٤) المصدر السابق، ص٩٩.

وتمثل أم جابر الاغتراب الزماني والمكاني بكل دقائقه حيث كانت أول وافدة إلى هذا المكان مع زوجها، حين نقلته المصلحة إلى هذه المنطقة، وأنجبت ابنها جابر، ثم توالى العمال حتى صاروا عشرين أسرة (حين وفدت على المنطقة مع زوجها، وكان ذلك منذ سنين طال بها العهد، لم يكن هناك غيرهما زوجها يشكو لها وحدته في العمل، وهي تشكو له وحدتها في البيت يتعجب لماذا أرسلته المصلحة ليعمل وحده بلا زملاء ولا رؤساء في صيانة القضبان وتركيبها)[١].

وفي الصباح وجدوا البيوت العشرين قد امتلأت، لم تفكر هي وزوجها كيف جاءوا؟ ومن أين جاءوا؟ ومتى؟ لكنهما فرحا بوجود جيران لهما في العمل والبيت.

وقد بدأ اغتراب أم جابر الزماني المكاني منذ اختفاء ابنها جابر (ومنذ اختفى ابنها عرفت الصمت . تحدث الناس عن حزنها المكتوم، ثم قالوا أنه استسلام وترقب للموت حزين، ولما طال مرور الأيام بلا أمل في عودة الغائب ازداد صمتها، بدا أنها بكماء فقالوا أن جنا تلبسها وأنها لا تعيش معهم)[٢]. بل عادت إلى الزمن القديم كما كانت تصنع الأحجبة للنساء بعد اختفاء القطار.

وبعد اختفاء زينب أصبحت أم جابر مسئولة عن الأطفال الثلاثة، ولم تستطع أن توفر لهم احتياجاتهم، فقررت الرحيل، والبحث عن زينب، وفي سيرها كانت تناجي ابنها في سرها وتسأله (ماذا عساك فعلت يا ولدي تحت الشمس؟) [٣].

كان الأطفال يسألونها عن أمهم، ومتى تعود، وتقول لأكبرهم: ادع الله أن

(١) السابق، ص١٠٩.

(٢) إبراهيم عبد المجيد، المسافات، ص ١٠٢.

(٣) المصدر السابق، ص ١٠٢.

تعود أمك. (اقترب أكثر منها. مشى ملتصقا بها. بينما كانت هي ترى جابر مقبلاً عليها من بعيد، ويمد إليها يداً كبيرة بيضاء حانية، تأتي إليها بحجم الكون، تضمها وتربت فوقها)[١].

وفي رواية المسافات نلتقي بقضية الجهل وتبعاته، ولقد صورها الكاتب من خلال حلم الطفل (علي) أحد سكان البيوت العشرين، الذين عاشوا في الفقر والجهل والخيال والأساطير والخرافات وتعلقوا جميعًا بأمل واحد وهو عودة (قطار الكنسة)، ولما غاب القطار بدأت محاولات الاغتراب والخروج، وهي محاولات غلفت بضباب من الأسرار. فخرج جابر يبحث عن المال في البلاد الغنية، وخرج حامد يبحث عن العلم والمكانة، وخرجت زينب تبحث عن مأكل ومشرب لأبنائها، وخرجت سميرة تبحث عن مرسي. وقد اختفي علي لصغر سنه، ولأنه صاحب الحلم، ولأنه ألقى الحجر فتخيل وأنه لا يسقط وأنه يسافر لسنوات وسيقول الناس إنه حجر علي الذي ألقاه من سنوات، وأفاق علي على أول حجر ألقاه في الطريق المُعبَّد (قذفه بقوة فسقط غير بعيد . ضاعت كل الصور القديمة من ذهنه، وهتف من أعماقه، من للفتى الغريب الآن ؟. وأدرك أنه قد ودع إلى الأبد، زمن الحلم والخيال)[٢].

وما بين إلقاء الحجرين كانت أحداث الرواية التي تناولت قضية الجهل وتبعاته ؛ ولأن الحلم ينتهي إلى صوت علي؛ فكذلك كانت الرواية الأساسية للراوي الذي سيطرعلى أحداث الرواية وهيمن على الأشخاص لجهلهم وفقرهم وكأنهم أدوات استخدمها الراوي لينفذ مخططه ويعرض قضيته، وجاءت الشخصيات في رواية المسافات على نمطين مختلفين:

(١) إبراهيم عبد المجيد، المسافات ، ص١٠٩.

(٢) السابق، ص ٢١٩.

النمط الأول: يمثل الملامح الكلية للمكان ويساعد على رسم جو أسطوري وهم (زيدان/ عبدالله / سميرة / ليلي / زينب / أم جابر).

النمط الثاني: وهم (علي / سعاد / الشيخ مسعود / جابر وحامد/ ناظر المحطة) وهذا النمط يحدد أدق الملامح بما تحمل من وجهات نظر جزئية.

فالشيخ مسعود ينطق بمستوى رجل الدين الذي يناسب هذا المكان بجهله وفقره، ومن ثم يشيع في الناس أمر السمكة الذهبية ودمعتها التي غطت البحيرة، فكان بذلك رجل الدين الذي أفرزه هذا المكان، وكان الشيخ (مسعود) قد تزوج (بسعاد) أجمل امرأة في البيوت العشرين، وجاء موته الغامض ليتمم أبعاد الهالة الأسطورية التي نسجها حول نفسه ... ولما عثروا عليه مقتولًا في المسجد وكان وجهه مسودا وفمه مملوء بالطين اتسعت دائرة الخيال المفسرة لموته الغامض.

أما اغتراب (جابر وحامد) فتميز بتجسيد الاغتراب السلبي، وخصص له الروائي دفقة روائية مستقلة من تلك الدفقات التي أتم بها الرواية . لما غاب قطار الكنسة زاد الفقر، وفكرسكان البيوت العشرين في الخروج، وكان الخروج سلبيًا وإيجابيًا، أما الخروج السلبي فمثله (جابر وحامد) فضلًا عن(زينب وسميرة) وخروج الجميع أحيط بقدر من الغموض عن المصير.

أما **(جابر وحامد)** بعد أن غاب قطار الكنسة ضاقت بهما المعيشة، وقد تعبا من جرِّ عربة المفتش، ومن حرارة الشمس التي لفحت وجهيهما، فقررا أن يغتربا، وأن يسافرا إلى صديقهما مسعد وراء بلاد البترول، ولكنهما لقيا أهوالاً وخداعاً انتهى بموتهما ولم يصلا إلى بلاد البترول فغاب حلمهما بموتهما. **وتبدأ الرحلة بالاغتراب المكاني:** الصحراء التي تخضع للطفل الصغير الذي يجري فوقها يجمع غنمه الشاردة، وتخدع الجبابرة الأقوياء وتجعلهم طعاما للسباع (كانا

منطرحين على الأرض حولهما الفضاء الرحب. الأرض صفراء تحتهما والسماء فوقهما زرقاء، وكل منهما لا نهاية له. إنهما مطرودان)[١].

عرف حامد وجابر أنهما مطرودان، ويواجهان الآن بعد عام من الاغتراب مشقة عبور الحدود على الأقدام، يقول جابر لنفسه: (أبعد عام من العمل والوحدة يكون علينا أن نعبر الحدود على أقدامنا، ونسير بالليل وننام بالنهار؟) [٢].

اصطحبهما الدليل في متاهات الصحراء وكان الزاد قد بدأ على النفاد، فطلب حامد من الدليل أن يقتربوا من قرية ليحصلوا على بعض الزاد، وهز الدليل رأسه يطمأنه. وما زال الحلم يراود جابر وحامد بأنهما سيدخلان فردوس الأموال.

مرت سبعة أيام، وجابر وحامد يسيران عبر الصحراء، حتى نفد الطعام، ولم يبق من الماء إلا القليل. استمروا على هذه الحال،بدأوا يمتصون حبات الحصى حتى يوفروا بعض الماء، فالبئر الأخير الذي مروا عليه كان منذ عشرة أيام .تورمت أقدامها، وتشققت أحذيتهما، تذكرا عربة المفتش والجري على القضبان، وقارنا بين هذين الحالين (آه عربة المفتش . ما أكثر ما جرى ولم تتورم قدماه. ما أكثر ما تمزقت الأحذية ولم تتورم قدماه. ما أكثر ما سقط مهدودا تحت شجرة التوت عند مكتب المفتش القريب من محطة السكة الحديد، وخلع حذاءيه ليعرض قدميه للهواء، وكان جابر يفعل مثله وينظر كل منهما إلى الآخر ضاحكًا، لكن لم تتورم قدماه ولا قدما جابر)[٣].

ويعود حامد بالزمن ليبرر سبب هذا التعب، وسبب الاغتراب القاسي (كان حامد يتردد دائما . في النهاية قرر ألا يتراجع .. وحين هجم الشتاء وعرف أن القطار سيأتى بعد غد .. تردد. انتظر جابر .. وفي المساء خرج ليحضر

(١) إبراهيم عبد المجيد، المسافات، ص١٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٦.

(٣) إبراهيم عبد المجيد، المسافات، ص١٣٠.

الفواريكة من أمام باب العشة . نظر إليها كأنه ينظر إلى شئ يحبه . بيضاء من الصفيح الزنك السميك .عرف أنه سيرحل)[١].

لقد سبب الاغتراب لحامد وجابر أحلاماً مروعة، حامد (رأى هنية تجري وأمها والنار مشتعلة بهما، حتى إذا ما وصلتا إلى البحيرة، سقطتا فيها فغلت مياهها وعلا بخارها، وطارت منها قذفة لهب طالت أبا هنية، فصار يجري مجنوناً على الجسر حتى سقط في الجهة الأخرى من البحيرة، فطش في الماء كمن سقط في زيت مغلي)[٢] .

وانقذفت من حوله الشواظ أشعلت نبات الحلفا . وصار السمك الذي كان ميتا طوال العام بعد انقطاع القطار يقفز فوق الماء قفزات هائلة إلى السماء ويهوى متفحما . كما صارت الطيور النائمة، وسط النباتات تطير مشتعلة صارخة تشتجر في عراك رهيب في قلب الفضاء السحيق. يلهبها البرق فتهوى محترقة في الماء كالشهب.

ثم ترصدته الشمس فرأى نفسه واقفاً وحيداً تحتها وسط صحراء واسعة، وجابر مربوط في صارية أعلى جبل تنهش النسور من قلبه،وهو واقف يصرخ من رؤية طوابير العقارب التي تقبل عليه من كل ناحية، ثم سبقتها ثعابين طويلة .وأحس بقدميه تغوصان في الرمال.

وعندما التقى جابر وحامد بكبير المهربين، عرض عليهما العمل عنده عامًا، ثم ينقلهما بعده إلى البلد الذي يريدان الذهاب إليه، فوافقا وأحسا بأنهما يحرقان السفن قال جابر ضاحكًا (يبدو أن جرينا بعربة المفتش حبب لنا الجري في البلاد)[٣].

---

(١) إبراهيم عبد المجيد، المسافات ، ص١٣١.

(٢) السابق، ص ١٤٠.

(٣) السابق، ص١٤٣.

ومن مظاهر الاغتراب ما لقياه من تعذيب على يد الرجال السود فقد رأى جابر في منامه قبل أن توقظه حرارة الشمس، رأى المرأة العجوز في المرة الخامسة بعد رحيل جميع من كان في الحفل وقد خرجت من الحجرة بعد الحفل، وخلفها أربعة رجال سود شداد صلاب . لم يكونا قد شاهدا العجوز وهي تدخل هذه المرة ولا هؤلاء الرجال.

جلسا بعد الحفل وحدهما يفكران في الزمن الجميل الذي مضى . لم يكن ممكنا أن يستمرا على هذه الحال. لكن لم يعد ممكنا الاتفاق.

فالاغتراب سبب كثيرًا من المتاعب لجابر وحامد فقد وصل بهما الأمر إلى قتل الدليل الذي كان يسير معهما في الصحراء، وعلم كبير المهربين فعاملهما معاملة سيئة وعندما التقى بهما قال لهما (أهلا بالسعار لم يفهما الكلمة... نظرًا إليه في استعطاف بالغ. قال أهلا بالكلبين خافا. كانت ملابسهما ممزقة سقط معظمها، وأكثر جسميهما باد. العظام ناتئة. ذقن كل منهما طويلة تصل إلى صدره. شاربه يتهدل إلى الجانبين في طول مفزع، في الوقت الذي سدت أذني كليهما الرمال . أما شعر الرأس فكان متجعدا مغبرا بطريقة توحي أنه لا سبيل إلى تنظيفه أبدا .. والأقدام متورمة بشكل جعل كليهما يشعر بأنه يجر عارضة من العوارض التي توضع تحت القضبان. فضلا عن البثور التي انتشرت بها، والشقوق التي ملأت باطن القدم، ولم تفلح الخروق التي مزقاها من ثيابهما،أن تمنع دخول الرمال إليها)[١].

الاغتراب يعيد للإنسان ماضيه بحلوه ومره، ويذكره بأفعال لم يكن يندم عليها لولا الاغتراب، فحامد يتذكر في تلك اللحظات النادرة (زينب ابنة الطبيعة البكر الطيبة. أطفالها الثلاثة الملتفين بالخروق، رثى لها إذ يموت زوجها بعيدا

(١) إبراهيم عبد المجيد، المسافات، ص١٥٠.

عنها،(عرف كم تكون القسوة بشعة حين تصير عادة. كم ذاقت زينب المسكينة من قسوته)[١].

ويحكي لهما الدليل عن قصة الرجل الصعيدي وأسرته الذي أعطاه عشرين جنيها هي كل ما يملك، حتى يقطع صلته بالزمن القديم، ،وأنه، الصعيدي، كان قد قرر في البداية أن يصل للمدن والموانى الكبيرة. (لكنه حين وصل قرر أن يترك البلاد نهائياً، ويذهب إلى تلك البلاد التي يسمع أن بها جازاً كثيراً. والتي عاد منها الكثير من أبناء بلده محملين بالهدايا والمال. وإنه قرر أن يأخذ زوجته معه وابنه لأنه لن يعود بالهدايا والمال. بل لن يعود أبداً)[٢].

هذه الأسرة الصعيدية التي قررت الاغتراب اختيارًا لظروفها الاقتصادية حيث الفقر، وقلة الدخل، وصعوبة الحياة، فكان الرجال يحلمون ببلاد الغاز، حيث يذهبون ويعودون محملين بالمال والهديا، ولكن هذا الرجل قرر ألا يعود أبدًا،لأنه يرى الاغتراب أفضل من العودة إلى البلاد مرة ثانية . وملأ نفسه ثقة بالله، وعاش في خيال كالأساطير (لكنه موقن أن الله لن يتخلى عنه إذا جاعوا سينزل عليهم بمائدة من السماء. وإذا عطشوا ستتفجر لهم بئر كزمزم . وإن لم يفعل الله ذلك سيفعل هو..سيصطاد الطير بيديه ويأكل الثعابين والحيات والسباع والضباع)[٣].

ولكنه عانى في الطريق معاناة شديدة، حيث فقد ابنه الصغير بعد أن لدغته حية.(وابنه هذا ليس أقل من إسماعيل بن سيدنا إبراهيم، فسوف يشق الأرض شقا بقدميه الرقيقتين. وزوجته ليس أضعف من هاجر، ستقاوم كل عطش وجوع . وهو معهما ولن يتركهما أبدا كما فعل سيدنا إبراهيم . لكن حية

(١) إبراهيم عبد المجيد، المسافات ، ص١٤٦.

(٢) السابق، ص١٣٦.

(٣) إبراهيم عبد المجيد، المسافات، ص ١٣٦

لدغت الطفل ومات خلال دقائق . حية يسمونها " الطريشة " وتعد أخطر الحيات .. فوجيء الدليل، هكذا قال، بأن الصعيدي لم يحزن، بل قال الحمد لله الذي أماته في أرض غريبة)[١].

لقد أصبحت الغربة لدى الصعيدى أفضل من حياته البائسة في وطنه،فصار الاغتراب وطنًا جديدًا.

يولد الاغتراب الزماني المكاني الإحساس بالخوف والجبن، فحامد وجابر فكرا في الهروب من القيلا الغريبة، فوجدا الأبواب مغلقة من الخارج، ويقف خلفها أربعة من الرجال الأشداء، وشعروا بعدم النجاة منهم، وخافا لو نجحا في الهروب أن يتوها في الصحراء، لأنهما لا يعرفان موقع القيلا بالضبط ولم يعرفاه في المرة الأولى. (فحين اصطحبهما المهرب أول مرة من المدينة التي قابلاه فيها، كانا جالسين في خلفية عربة جيب مغلقة. سارت العربة بهما وقتا ليس قصيراً وهما لايريان شيئاً حتى وصلت إلى القيلا)[٢] .

ثم كان خروج (علي) إلى المدينة ـ فهو مشارك في الحلم ـ يمثل الخروج الإيجابي .. فهو لم يخرج لضائقة مالية فقط، ولكنه خرج لمَّا زاد الجهل والخيال والوهم والخرافات، (فزيدان) اختفى وظنوا أنه تحول إلى جني وسكن البحيرة وتهددهم، ثم وجدت الكرات النارية التي دخلت البيوت العشرين .

ولما بلغ الجهل مداه، وكان (علي) متعلما في صغره قرر الخروج إلى المدينة، (لم يكن يعرف أن الدنيا يمكن أن تكون مضيئة وهو يأخذ طريقه إلى المدينة لأول مرة . حين ابتعد عن المنازل ولم يعد يرى المنطقة كلها، كان أول ما رآه البحر الذي هو أكبر البحيرة)[٣].

(١) إبراهيم عبد المجيد، المسافات ، ص١٣٦.

(٢) السابق، ص١٥٥.

(٣) إبراهيم عبد المجيد، المسافات، ص ١٦١.

شـاهد علـي فـي البـدايات زوارق الصـيد، وشـاهد الصـيادين، وشـاهد علـى البعد أشياء صغيرة تتحرك غير واضحة، رآها بشراً عراة يرتدون مايوهات مختلفة الألوان.

وفي المدينة تكشفت له الحقائق وزال الغموض فعرف أن (سميرة) جاءت إلـى المدينـة وعملـت راقصـة، وأن (زينـب) تتـاجر بجسـدها فـي المدينـة، ولحقتهـا (أم جـابر) والأولاد ثـم تعـرف علـى القتيلين فـي الجريـدة (حامـد وجـابر)، ومـن ثـم كـان خـروج (علـي) إيجابيـاً لأن الـذي صـار يعرفـه جيداً أنـه لـو فتش فـي أركـان المدينة فسيجد (نعمة) زوجة (زيدان)، وسيجد المفتش وزوجته ولعله يجد (زيدان وعبـد الله . والـذي صـار يعرفـه جيـداً أيضـاً أن القـوى الخفيـة لـم تعـد تطـن فـي رأسه) [١].

ومـن مظـاهر الاغتـراب القسـري زمانًـا ومكانًـا التجنيـد: الـذي كـان أيـام السلطة حيث كان التجنيد شاقاً وطويلاً، فلا أحد يعرف متى يخرج من التجنيد ولكنه يعرف متى يدخل، يتذكر جابرأباه لأول مرة وهو يحكي له عن جده عندما أرادوا أن يأخذوا ابنه –أبو جابر– إلى التجنيد، (حاول أبوه –جد جابر– أن يهربه بـأي طريقة وأنـه سمع أمـه –جدة جـابر– تقول لأبيـه كنت جعلتـه يحفظ القرآن. لكنـه نهرها .وقال لها: ومـاذا سيفعل بحفظ القرآن؟ . سيعفى من الجهاديـة لكنـه سيحرم من أي عمل سوى تلاوة القرآن. وأنا لاأحب لابني أن يتوقف عشاءه على ميت يموت أو حلقة ذكر تقام) [٢].

أمَّا أبو جابر فلم يبك مثل أبويه فقط كان يفكر في "طوكر" التي سيأخذونه إليها كيف تكون؟. وهل هي فعلاً كما يقول أبوه بلاد حارة شديدة المطر؟ هل هى

(١) إبراهيم عبد المجيد، المسافات ، ص ١٩٠.

(٢) السابق، ص١٥١.

فعلا بلاد السخرة والعبيد؟. هل أهلها لهم ذيول حقيقية؟ هل يأكلون حقًا لحوم البشر؟. وكان خائفًا ..

(قال لنفسه لو أخذوه وأرسلوه إلى الشام كما أرسلوا أباه من قبل حين كان الإنجليز يحاربون الأتراك . كان أبوه في الأربعين في ذلك الوقت لكنهم أخذوه من القرية بالقوة . وكان زملاؤه يقولون له :إنهم محظوظون لأنهم أرسلوهم إلى الشام ولم يرسلوهم إلى بلادالخواجات كغيرهم)[١].

أما سميرة فقد غادرت العشش إلى المدينة بحثًا عن مرسي، ولكنها وقعت فريسة لمغريات المدينة رآها علي حيث (كانت تتلوى شبه عارية أمامه على خشبة المسرح . الأضواء حوله وفوقه النساء جالسات في الصفوف الأمامية والفتيات والأطفال . في الخلف كان هو وسط الرجال الذين يتحلقون مناضد كثيرة . الليلة باردة بلا مطر . وسميرة تتلوى ببدلة الرقص الشفافة)[٢] . لم يصدق علي عينيه ، نهض من بين الرجال واقترب من خشبة المسرح ليتأكد من صدق عيونه، إنها سميرة ولا أحد غيرها، ظل ينظر إليها حتى تنتبه إليه، لكنها لم تنتبه إليه، ونزلت إلى غرفة خلف السرادق، حاول أن يكلمها ولكنه لم يستطع .

فهاهي سميرة الجميلة حقا أمامه راقصة بالمدينة الغريبة (قرر أن يحضر كل الأعراس التي يسمع عنها أو يراها عله يجد سميرة مرة أخرى ويحدثها . لو نظرت إليه ستعرفه . لا يمكن أن تنسى آخر مرة التقيا فيها، وتخيلته مرسى خطيبها المسافر فوق القطارات)[٣] . ولكنها اختفت ولا يعرف كيف يجدها.

(١) إبراهيم عبد المجيد، المسافات، ص١٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص١٧٦.

(٣) السابق، ص١٧٨.

سمع في الجراج العاملين يتحدثون عن راقصة اخرى تملأ المدينة اسمها " نانا" (قرر أن يذهب ليرى هذه الراقصة وفي داخله يقين أنها سميرة)[١].

بدأ يدخل السرادقات كل يوم لعله يجد سميرة، يرى على واجهة السرادق صورة قبيحة لراقصة عارية وجهها قريب الشبه من وجه سميرة لولا أنه يشع بذاءة، أما وجه سميرة فهو وجه بريء. صار يفعل ذلك كل ليلة لمدة عام .وفي ليلة من الليالي انتظرها حتى خرجت (أسرع إلى سميرة وأمسك بذراعها فصرخت إذ أحست أن ذراعها تكاد تنفصم تحت أصابعه . كان يعرف أن الزحام الشديد أمام السرادق مركز الإبصار عليه، وكان يتوقع هجومًا من كل جهة، فصار متحفزا كله . لكنه وجد نفسه يقول لها بألم بالغ . – أنت سميرة . أنا على أخو ليلى لكن سميرة نظرت إليه من أعلى إلى أسفل . وكان قد ترك ذراعها فتنفست . ثم انطلقت في ضحكة فاجرة طويلة رفيعة عميقة كسكين ثلمة تلوت في أحشائه . وتركته واقفا لا يعرف ماذا يفعل)[٢].

لقد تغيرت سميرة في الغربة، وصارت راقصة محترفة يرافقها حارسان.

أما زينب فقد تحولت إلى داعرة بعد أن فقدت الأمل في عودة حامد، وبعد فقدت أم جابر عينيها، وأصبحت زينب هي المسئولة عن أم جابر والأطفال الثلاثة، وغياب القطار أصابهم بالفقر الشديد، والعمل فوق الجسر في بيع السمك لم توفق فيه، فاضطرت لبيع نفسها، ولكن الجسر مكشوف وسمعتها بدأت تفوح، فغادرت العشش إلى المدينة الغريبة وهناك تركت نفسها، وباعتها لراغبي المتعة الحرام.

(١) إبراهيم عبد المجيد، المسافات ، ص١٨٠.

(٢) السابق، ص١٨٢.

لم يكن علي يتخيل وهو يبحث عن سميرة أنه سيرى زينب في هذا المكان الموبوء. فبعد ساعة من رؤيته لسميرة وضحكتها الخليعة، ذهب إلى أحد زملائه العاملين في الجراج وطلب منه أن يرتدي ملابسه، وأن يخرج معه . وفي الطريق سأله عن المرأة التي حدثه عنها كثيرا فقهقه الزميل مندهشًا؛ لأنه كثيراً ما عرض عليه الذهاب ولكن علي كان يرفض، أخذه زميله إلى شارع ضيق بعد ركبا تاكسي قطع بهما مسافة طويلة، وأنزلهما على شاطيء البحر عند الطرف الشرقي للمدينة . وصلا إلى البيت . وجلسا في الصالة، ثم دخلت عجوز بيضاء حجرة داخلية وخرجت تقول لهما (قليلاً وسيخرج الزبون . لقد تأخرتما كثيراً! ... وخرج الزبون الذي رآه رجلاً أسود ضخماً ذكره وجهه المليء بالحفر بوجه زيدان الذي لا يعرف أين وصل الآن. وبعد لحظات قليلة يئس خلالها من كل شيء، ولم يعد يشعر حتى بوجود زميله جواره، خرجت إليهما زينب زوجة حامد! إنها زينب ولا أحد غيرها . يعرفها جيداً وإلا ما دب النمل في ساقيه، وما اضطرب قلبه . زينب التي ما رآها إلا محتشمة فوقها تل من الثياب)[١].

حاولت زينب أن تبرر له ما فعلت (فأخذته بعد ذلك إلى حجرة مغلقة . حين فتحتها رأي أم جابر العجوز متكومة في ركن والأطفال الثلاثة في ركن . قالت إنها – العجوز – صارت تخرف ولا تتحرك، وتبول على نفسها وتطلب الموت الذي لا يجيء)[٢].

ويرى الباحث أن الكاتب إبراهيم عبد المجيد قد قدم مبررات الاغتراب منذ الأسطر الأولى للرواية؛ حين أشار إلى أنَّ أهل البيوت العشرين، مجلوبون من قرى ونجوع بعيدة للعمل في السكة الحديد مجبرين، ولهذا كان الاغتراب أمراً

(١) إبراهيم عبد المجيد، المسافات، ص ١٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص١٨٥.

متوقعاً، فهم لا يملكون البيوت، بل يسكنون فيها مدة عملهم فقط، حتى إذا انتهت مدة العمل تركوا هذه المنازل ليحل فيها غيرهم، فالاغتراب جاء نتيجة للظروف الاقتصادية والاجتماعية التي كان يعيشها أهل البيوت العشرين.

وقد استطاع الكاتب أن يظهر مشكلة هؤلاء العمال، ويشير بأصابع الاتهام إلى المسئولين عن نقل العمال بدون إرادتهم في أماكن بعيدة عن مواطنهم التي ولدوا وعاشوا فيها.

الخاتمة والنتائج

وبعد عرض هذا البحث في موضوع "الاغتراب في رواية "المسافات" للكاتب المصري إبراهيم عبد المجيد، يجدر بنا تقديم أهم النتائج التي توصل إليها البحث، كالآتي:

١- الكاتب إبراهيم عبد المجيد الحاصل على جائزة النيل للآداب ٢٠٢٢م، من أوائل رواياته رواية المسافات التي صدرت عام ١٩٧٧م. وكان لدراسته الفلسفة الوجودية وولعه بفكرة الاغتراب أثر على كتاباته.

٢- كشفت الرواية عن أثر الزمان والمكان على الأبطال، فأصبحت كل شخصية تتعلق بالزمان والمكان من خلال ظروفها وما يحيط بها من أحداث الآخرين.

٣- لقد عاش أهل البيوت العشرين حياة مليئة بمحطات زمانية ومكانية عدة، وجميع الشخصيات تولد لديها شعور واضح إزاء المكان الذي تعيش فيه.

٤- استند إبراهيم عبد المجيد في رسمه للمكان الروائي إلى الواقع، وإلى الأساطير في بعض الأحيان، فجاءت الرواية متعادلة بين الحقيقة والخيال.

٥- اعتمد الكاتب على الزمان والمكان النفسيين في رواية المسافات وجعلهما بنية فنية واحدة.

٦- وتنوعت طرق الكاتب في استعماله للزمن والمكان النفسي، فمرة يورده على لسان الراوي ومرة عن طريق الاسترجاع والاستباق، وأخرى عن طريق الحوار بين الشخصيات.

٧- إن اهتمام الكاتب بوصف البيوت العشرين أو العشش كان كثيرا، فقد وصفهما بالقدر الذي يوضح فيه الوضع الاجتماعي والاقتصادي للشخصيات، محاولاً كشف أغوار الشخصية من خلال وصف المجتمع، وكانت أجزاء البيت(العشة) مقصودة الدلالة في رواية المسافات ؛ حتى يربط بين وصف المكان وطبيعة الشخصية التي تشغله.

٨- استمدّ " إبراهيم عبد المجيد" شخصياته من الواقع المعيش ليعبر عن مشاكل المجتمع المصري، وخاصة الفئات المقهورة كعمال التراحيل . وهو بذلك يعالج قضايا مجتمعية انتشرت في فترة الستينات والسبعينات.

٩- تناولت رواية "المسافات" أبعادا مختلفة منها الاجتماعية، الأخلاقية، الثقافية؛ فالاجتماعية من خلال حالة الفرد المقهور اجتماعيا في شخصيتي "جابر وحامد " اللذين عاشا تحت سلطة المفتش، أمّا الأخلاقية فنلمحها في شخصية "سعاد" الخائنة لزوجها، وشخصية الدليل الذي يعكس صورة الإنسان الذي يفتقد إلى القيم الدينية الأولية.

١٠- تحققت أنواع الأماكن في رواية المسافات بين الأماكن المفتوحة مثل: (الجسر- البحيرة- المدينة- الصحراء) والأماكن المغلقة (البيوت - العشة- المسجد. - السبنسة _الخص).

١١- عرض مؤلف هذه الرواية مجموعة الدوافع التي أدت بالشخصيات إلى الإحساس بالاغتراب.

١٢- كما عرضت الرواية قضية الجهل وتبعاته، وكذلك التعلق بالخرافات والأساطير.

قائمة المصادر والمراجع

١- إبراهيم عبد المجيد، المسافات، دارالشؤون الثقافية العامة،(آفاق عربية)، العراق، بغداد، أعظمية، ١٩٨٩م.

٢- أبو زيد أحمد، تمهيد في الاغتراب، مجلة عالم الفكر، مجلد رقم (١)، وزارة الإعلام، دولة الكويت ١٩٧٩م.

٣- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر/ابن قيم الجوزية مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١-٣ ج٣، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م.

٤- أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠١م.

٥- آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٢٠١٥م.

٦- أمينة رشيد، تشظي الزمن في الرواية الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكاتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٧- جمال الدين أبو الفضل محمد/ابن منظور، تح:الشيخ عامر أحمد حيدر، لسان العرب، ج١٣، دار الكتب العلمية /بيروت، لبنان٢٠٠٩م.

٨- حافظ أحمد خيري. سيكولوجية الإغتراب لدى طلبة الجامعة. أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين الشمس، مصر، ١٩٨٠م.

٩- حسن بحراوي، بنية الشكل الرّوائي، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠م.

١٠-حميد لحمداني، بنية النص السردي "من منظور نقدي أدبي " المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط ٢٠٠٠م.

١١-سديف حمادة، وظيفة المكان وأهميته في الرواية المعاصرة، الانتقاد/ العدد١٢٨٦ . ١ آب/ أغسطس ٢٠٠٨م.

١٢-شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية – المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.
١٣-شوقي بدر يوسف، الرواية والروائيون دراسات في الرواية المصرية، وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٨م.
١٤-صالح العطوان الحيالي الغربة والاغتراب، العربي اليوم ٧ سبتمبر، ٢٠١٧م.
١٥-صفاء إبراهيم العلوي، جماليات المكان في الرواية، صحيفة الوطن، الأحد ١٩ مايو ٢٠١٩م.
١٦-عبد الرحمن بدوي، الإشارات الإلهية، دار القلم للطباعة و النشر و التوزيع – بيروت / لبنان، ٢٠٢٠م.
١٧-غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢٠٠٠م.
١٨-غالب هلسا، المكان في الرواية العربية – دار ابن هانئ – دمشق ١٩٨٩م.
١٩-فاطمة محمد حميد سويدى، الاغتراب في الشعر الأموى، مكتبة مدبولى، ١٩٩٧م.
٢٠-فلاح محمد محمود، الشخصية المهمشة في مجموعة العشب القصصية لأنور عبدالعزيز، دار الخليج للنشر والتوزيع ٢٠١٩م.
٢١-ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية،ترجمة: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠م.
٢٢-ميساء نبيل عبد الحميد، الغربة والاغتراب في روايات (غائب طعمة فرمان).
٢٣-نزيهة الخليفي، البناء الفني ودلالاته في الرواية العربية الحديثة، الدار التونسية للكتاب ط١، ٢٠١٢م.

٢٤–يوسف حسن نوفل، القصة بعد جيل نجيب محفوظ، دار المعارف، د.ط، د. ت.